﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة: 104]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا كانَ مِنْ ضُرُوبِ السِّحْرِ: مَا هُوَ تَمْوِيهُ أَلْفَاظٍ، وَقَدْ تَأَصَّلَ هَذَا عِنْدَ الْيَهُودِ، وَاقْتَنَعُوا بِهِ فِي مُقَاوَمَةِ أَعْدَائِهِمْ، وفي تَحصيلِ الأذى لهم، ناسبَ أنْ يَلْتَفِتَ إلى خِطابِ المؤمنينَ، ويُنَبِّهَهم على ما كان يتأذّى به رسولُ اللّهِ محمّدٌ، ﷺ، مِنْ ألفاظٍ، كان اليهودُ يَقولونَها بنيّةِ إيذائه ﷺ؛ لِيكونَ النَّهيُ عن هذهِ الألفاظِ نَهيًا عن السِّحرِ بطريقِ الأَولى؛ لأَنَّه يقومُ على التَّمويه كذلكَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿رَٰعِنَا﴾: يَدُلُّ أصلُ كلمة: (رَعَى) على المُراقبة والحِفظ، ومنه: رَعَيتُ الشّيءَ: رَقَبْتُه، ورَعَيتُه: إذا لاحَظْتَه، والرّاعي: الوالي، والرّاعي: حافِظُ الماشيةِ، يُتيحُ لها المَرْعى، ويُمَكِّنُها ويُراقبُها، ويَحفظُها من الضِّبَاع والسِّبَاع، ومنه: أَرْعَيتُه سَمْعي: أَصْغيتُ إليه، وأَرْعِني سَمْعَك، أي: لِيَرْقُبْ سَمعُك ما أقولُه، و(راعِنا) في الآية: إمّا بمعنى المُفاعلةِ، أي: احْفَظْنا ولْنَحْفَظْكَ، أو: راعِنَا سَمْعَك، أي: اسْمَعْ منَّا ما نُريدُ أنْ نَسألَك عنه، وفي المُخاطبة بهذا: جَفاءٌ؛ لِتَضمُّنه معنى النِّدِّيَّةِ، وأسلوبِ الاشتراطِ والتَّعليقِ، وهذا لا يَليق بمَقامه[2] ﷺ.

2) ﴿ٱنظُرۡنَا﴾: نَظَرَ: يَدورُ على مَعنى تَأَمُّلِ الشَّيْءِ، وَمُعَايَنَتِهِ بالبَصَرِ أو البَصيرة، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُتَّسَعُ فِيهِ، فيأتي بمعنى: الإمْهال والانْتظار؛ لأَنَّ التأمُّل يَستغرقُ زَمَنًا، يُقالُ: نَظَرْتُهُ، أَيِ: انْتَظَرْتُهُ، ومنه قَولُه: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ أَي: ارْقُبْنا، وتَأنَّ علينا، وانتَظِرْ مَا يكونُ منّا[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 2/85، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/651.
(2) ابن قتيبة، غريب القرآن: 1/60، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رعى).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (نظر).

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

نهى اللّهُ المؤمنينَ في هذا الخطابِ: أنْ يقولوا للرَّسولِ محمَّدٍ، ﷺ، مِنَ القولِ ما فيهِ جَفاءٌ، وأَمرَهم أنْ يتَخيَّروا لِخطابِه مِنَ الألفاظِ أحسنَها، ومِن المعاني أَرقَّها، فلا تَقولوا لِنَبيِّكُم: راعِنَا سَمْعَكَ، وَفرِّغْهُ لَنَا نَفهمْكَ، وَتَفْهمَ عنَّا ما نقولُ؛ لِأنَّ اليهودَ كانوا يقولونَها للنَّبيِّ، ﷺ، يَلوُونَ ألسنتَهُم بِها، يَقصِدونَ سَبَّهُ، ولكنْ قولُوا بدلًا منها: انْظُرْنا، أي: انْظُرْ إلينَا، وَتعهَّدْنا، أو: انتَظِرْنَا وتَرَقَّبْنا، حتَّى نَفْهَمَ عنكَ ما تُعَلِّمُنَا، وتُبَيِّنُهُ لَنا، واسْمَعوا مِنْه ما يقولُ لَكم، فَعُوهُ واحْفَظُوهُ وافْهَموهُ، وامْتَثِلوا لَه، ومَنْ خالفَ أمرَ اللّه ونهيَهُ، وكَذَّبَ رسولَهُ ﷺ، أو آذاهُ، فَلَهُ العذابُ المُوجِعُ في الآخرةِ.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ ابتداءِ الآيةِ بالنِّداءِ بالاسم الموصولِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

إقبالٌ، وتحبّبٌ للمؤمنين، بقصْدِ التَّوطئةِ للتَّكاليفِ

ابْتُدِئَ الكلامُ بنداءِ الّذين آمنوا، الدّالِّ على الإقبالِ عليهم؛ تلطُّفًا بالمُؤمنين؛ للإشعارِ بأَنَّ النَّهيَ والأمرَ اللَّذَين في الآيةِ، ليسا على التَّوبيخِ والتَّقريعِ، كما كانَ في الأمرِ والنَّهي الّذي وُجّهَ لبني إسرائيلَ، ففي هذا النِّداءِ: تَحْبيبٌ وتَلطيفٌ للمؤمنين، بقصدِ التَّوطئة للنَّهي والأمرِ المذكُورَيْن، ولذلك كانَ اختيارُ الاسمِ الموصولِ؛ لتقويةِ إقبالِهم بصلةِ الموصولِ: ﴿ءَامَنُواْ﴾، وقَصَدَ بذلكَ: توجيهَ المؤمنينَ إلى ما سَيخبرُهُم اللّهُ عنهُ، مِن الأوامرِ والنَّواهي؛ لِيكونوا مُنْتَظرينَ لوُرودِها عليهم، حتَّى يُبادِروا إلى الامتثالِ إذا وَرَدَتْ[1].

سببُ تَقدّمِ النَّهي، وتأخُّرِ الأَمرِ:

التَّخليةُ قبلَ التَّحليةِ، والعملُ بعد التَّجلية

بُدِئَ بِالنَّهْيِ في قولِه تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾؛ لِأَنَّ اللَّفظَ شائعٌ موجودٌ في الاستعمالِ، فأمرَهم بتركِه ابتداءً، ثم أمرهم بما يقولون:

(1) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم: 182.

﴿وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾، فالأمرُ كان بمثابةِ إقامةِ البديل عن المنهيِّ عنه، فَحَسُنَ بذلك أن يكون من باب التَّخليةِ قبل التَّحلية، وقبل العملِ يحسنُ الفهمُ، وبعد التَّركِ يحسُن إيجادُ البديلِ، وَلـمّا كانَ الأمرُ أَشَقَّ من النَّهيِ؛ لأَنَّهُ إنْجازٌ وإيقاعٌ، حَصَلَ الاسْتِئْنَاسُ بالأمرِ، لورودِ النَّهيِ قبلَه[1].

بلاغةُ حذفِ المفعولِ:

تنـوُّعُ المعـاني بحذف المفعول

لتوجيه حذفِ مفعولِ: ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ثلاثةُ مسالك[2]:

الأوّل: إقامةُ الفعلِ المتعدّي مَقامَ اللَّازم، أي: وَلْيكنْ منكمْ سَماعٌ وإصغاءٌ، والمعنى: فَرِّغُوا أَسْمَاعَكُمْ لِمَا يَأْمُرُكُم به النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى لَا تَحْتَاجُوا إِلَى اسْتعادَةِ الكلامِ.

الثّاني: أنْ يُقَدَّرَ المفعولُ من السِّياقِ، فإنّه لـمّا كانَ اليهودُ يَسمعونَ ويَعصونَ أمرَ اللّهِ، فقالَ للمؤمنين: ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾، والتَّقديرُ: اسْمَعُوا سَمَاعَ قَبُولٍ وَطَاعَةٍ، وَلَا يَكُنْ سَمَاعُكُمْ سَمَاعَ الْيَهُودِ، حَيْثُ قَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، فيكونُ قدْ قَصَدَ بالسَّماعِ لازمَهُ، وَهوَ: الطّاعةُ[3].

الثّالثُ: أنْ يُقَدَّرَ المفعولُ عامًّا، والتَّقديرُ: اسْمَعُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، حَتَّى لَا تَرْجِعُوا إِلَى مَا نُهِيتُمْ عَنْهُ، تَأْكِيدًا عَلَيْهِمْ، وهذا الوجْهُ قريبٌ مِنَ الثَّاني.

بلاغةُ وضعِ الظَّاهرِ مَوضعَ المُضمَرِ:

الاستهزاءُ بنبيّ اللهِ مُغالاةٌ في الكُفر

كان مقتضى الظَّاهرِ في قولِه تعالى: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أنْ يُوضَعَ الضَّميرُ موضعَ (الكافرين)؛ ليعودَ على اليهودِ؛ لأنَّ سياقَ الكلامِ فيهم، ولكنّهُ جاءَ على خِلافِ مُقتضى الظَّاهرِ؛ لِلإشعارِ بأنَّ قولَهم ذلك: كانَ تَهاوُنًا بالرَّسولِ، ومَنْ أهانَ نبيَّ اللّهِ وحبيبَه ﷺ كان

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/542.
(2) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 3/635.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 2/60.

غاليًا في الكُفرِ، كاملًا فيه، مُستَحِقًّا لِأَنْ يُعذَّبَ بعذابٍ أليم، وَلِلتَّنْبِيهِ: عَلَى أَنَّ التَّقْصِيرَ فِي الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ ذَنْبٌ مُجَاوِرٌ لِلْكُفْرِ إِلَيْهِ[1].

دلالة (أل) في ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾:

(أَلْ): في قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عَهديَّةٌ، والمرادُ من الكافرين بالأَوْلويَّةِ اليهودُ؛ لِأَنَّ السِّياقَ واردٌ فيهم، وَنكتةُ التَّعْبِيرِ بِالْكَافِرِينَ دُونَ الْيَهُودِ زِيَادَةٌ فِي ذَمِّهِمْ[2]، وفيه إشارةٌ إلى اسْتحقاقِهمُ الكفرَ، بأذيَّتِهم رسولَ اللهِ ﷺ.

بَلاغةُ تقديمِ المُسنَدِ على المسنَدِ إليه:

قدَّمَ ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ على ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لإظهارِ تَخصيصِ العذابِ الأليم بالكافرين، تَوبيخًا لِقُبحِ فعلِهم معَ رسولِ اللهِ ﷺ، ويَقتضي هذا التَّخصيصُ أنَّ للمؤمنين النَّعيمَ الكريمَ، ففيه حَثٌّ وتَحْضيضٌ على امتثالِ قولِه للمؤمنين: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾.

امتثالُ الأوامرِ مناطُ الإيمانِ

سرُّ وصفِ العذابِ بالأليمِ:

العذابُ لا يكونُ إلَّا أَليمًا، والمعنى: على المُبالغةِ في الإيلامِ، فكأَنَّ الإيلامَ تَكرَّرَ في الكلامِ، ومثلُه قولُهم في الكلامِ العربيِّ: جَدَّ جدُّهُ[3]، وهو محمولٌ على أنَّه مُؤلِم، لكن أتى بصيغة فعيل للمبالغةِ، ولبيانِ أنَّ الألم راسخٌ فيه.

رُسوخُ الألمِ في العذابِ فيه زيادةُ ترهيبٍ

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

﴿رَٰعِنَا﴾ و﴿ٱنظُرْنَا﴾:

تَحتمِلُ كلمةُ: ﴿رَٰعِنَا﴾ أنْ تكونَ بمعنى الإمهالِ والانتظارِ، أو بمعنى: (أَرْعِني سمعَك)، وكان الصَّحابةُ يقولونَها بمعنى: اسْمَعْ لَنَا مَا نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَ عَنْهُ، وَنُرَاجِعَكَ الْقَوْلَ فِيهِ، لِنَفْهَمَهُ عَنْكَ، وتَحتمِلُ

مناسبةُ اللَّفظِ والمعنى لِسياقِ الكلامِ

(1) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 3/29، ومحمّد رشيد رضا، المنار: 1/339.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/652.
(3) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 3/29.

أنْ تكونَ هُزْءًا، عَلَى النَّحْوِ الَّذِي كَانَتِ الْيَهُودُ تُطْلِقُهُ، يَقصدون به رميَه، ﷺ، بِالرُّعُونَة، وَيُوهمونَ أَنَّهم يَقولونَ: راعِنا، فَتكونُ كلمةُ: ﴿رَاعِنَا﴾ فِيها احْتِمَالُ الْأَمْرَيْنِ، وَعِنْدَ الْإِطْلَاقِ تَكونُ بِالْهُزْءِ أَخَصَّ مِنْها بِالانتظارِ.

وأمّا دَلالاتُ: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ فهي مأخوذةٌ مِن اسْتدعاءِ نظرِ العينِ، المُقترنِ بتَدَبُّرِ الحالِ، ففيها معنى: الانتظارِ والإمهالِ الّذي في راعِنا، وليسَ في الكلمةِ معنى المُفاعلةِ الّذي في ﴿رَاعِنَا﴾، وَهو ممّا لا يَليقُ بمُخاطبةِ الرَّسولِ الأكرمِ، ﷺ، معَ إفادتِها معنىً آخرَ، ليسَ في ﴿رَاعِنَا﴾، وَهو: الرِّفقُ وَ المُراقبةُ وَتَدبّرُ الحالِ، كما أنّ التَّعبيرَ بـ ﴿ٱنظُرْنَا﴾ فيهِ معنى: الرَّغبةِ لِفعلِ المأمورِ، على معنَى: انتَظِرْ منَّا فِعْلَ ما تأمرُنَا بِهِ، وَهو يفيدُ امتثالَ الأمرِ والطّاعةِ، والمُسارعةَ إلى فعلِ الخيرِ.

فكلمةُ: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ أَخَفُّ صَوتًا، وأنسبُ معنًى، وليسَ فيها ما يُوهِمُ سُوءَ الأَدبِ؛ لِيَتَذَرَّعَ بِهَا الْكُفَّارُ لِأَذَى النَّبِيِّ [1]ﷺ.

(1) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 218، والجصّاص، أحكام القرآن: 1/72، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/189، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/651.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»